وعلى منحدر الخابور جنوبًا تلّ كوران موقعها يشرف على النهر كان يسكنها سابقًا قومٌ من الارمن وفي سنة ١١٣٦ كان يحكم على اهلها اريوتر المسيحيّ . ومنها كان ايضًا احد بطاركة سيس السيّد يوحنّا العاشر الملقّب بالتلكورانيّ (١٤٨٩—١٥٢٤)

وقلنا ان ارمن ولاية الموصل يتبعون ابرشيّة ماردين وهم يبلغون نحو مئتي بيت ولهم كنيسة حديثة البناء

ونضرب صفحًا عن بغداد والبصرة وما في هاتين الولايتين من الارمن الكاثوليك اذ لم يجرِ فيهما النظام الجديد الذي يلحقها بابرشيّة ماردين . وترى ممّا قلنا انّ لابرشيّة ماردين الارمنيّة شأنًا عظيمًا وانها من اوفر الابرشيّات الكاثوليكيّة فضلًا عمّا لاجدادهم من المآثر القديمة

(المشرق) في مقالة المونسنيور اكسندر بان بعض فوائد تاريخيّة عن اصل ماردين واخبارها نؤخرها لنستفيد منها في مقالة منفردة عن هذه المدينة

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

ومن مراثي السيد احمد البربير قولهُ في الامير منصور الشهابي لمّا توفي سنة ١١٨٨ ﻫ (١٧٧٤ م) :

سقا هذا القبر سحابُ فضلٍ وعمّ بالرضى مَنْ في ثراه
اميرًا كان في الدنيا شهابًا ومنصورًا على قوم عصاه
فانّ يكُ من حبرني قد توارى فحبي ان قلبي قد حواهُ
فلمّا سار للفردوس فورًا وقرّبهُ المهيمن واصطفاهُ
أتى تاريخهُ في بيت شعرٍ يودُّ البدرُ أن يُحلى سناهُ
فهملهُ وسجعهُ وكلٌّ من الشطرين تاريخًا تراهُ
شهابُ الرحمة المولى عليهِ هوى للترب بدرٌ من رُباهُ

وكان لاحمد البربير تلامذة أخذوا عنهُ اخصّهم السيد عبد اللطيف بن علي المكنّى بفتح الله المفتي البيروتي الحنفي وكان شاعرًا إلّا انّ شعرهُ مفقود وممّا يروى عنهُ قولهُ يمدح ميخائيل البحري لمّا جاء بيروت في ايام الجزّار :

ولما أتى البحريُّ بيروت زائرًا اليكم أهدى عقودًا من الشعر
فلا بدع أن أهدي له الدرَّ ناظمٌ فنا بك أنَّ الدرَّ يبدو من البحر

فأجابهُ البحري بابيات رويناها في المشرق (٣ : ١٧ : ١٨٠) . ومن الشعراء المسلمين الذين نظموا الشعر الجيد في اوائل القرن التاسع عشر الشيخ الوفاء قطب الدين عمر ابن محمَّد البكري الدمياطي الاصل واليافيّ المولد ولد سنة ١١٧٣ ﻫ (١٧٦٨ م) في يافا ودرس على مشاهير شيوخ زمانهِ في وطنهِ ورحل إلى مصر وأخذ عن شيوخها . ثمَّ عاد الى غزَّة وتجوَّل في انحاء الشام والحجاز وتوفي في دمشق في غرَّة ذي الحجَّة سنة ١٢٣٣ (١٨١٨ م) وقد رثاهُ شاعر زمانهِ الذي ترجمهُ في اوانهِ الشيخ امين الجندي بقصيدة رنَّانة اوَّلها :

ذيْ المنـايا ما لأسهمها ردُّ فما حيلتي والصبرُ قد دكَّهُ البُعدُ
دُهيتُ برُزْءٍ لا يُطاق مضـاؤهُ وكربٍ وحزنٍ ما لنايتهِ حدُّ

وهي طويلة . ومن لطيف ما قالهُ فيهِ الشاعر نقولا الترك وقد ضمَّن فيهِ اسمهُ عُمر :

شمس العلوم تبدَّى نورًا الى كلّ راء
مقرُّها ضمن جسم ما بين عين وراء

اما تآليف السيد عُمر اليافي فاخصُّها ديوانهُ وبعض مخاطبات أُلحقت بديوانهِ (ص ٢٤١—٢٨٤) وقد عُني بطبع هذه الآثار حفيدهُ السيد عبد الكريم بن محمَّد ابي نصر في المطبعة العلميَّة سنة ١٣١١ ﻫ (١٨٩٣ م) وهو مجموع واسع فيهِ قصائد متعددة دينيَّة على منهج المتصوِّفين وكان السيد عُمر على الطريقة الخلوتية ولهُ في هذه الطرائق عدة رسائل منها رسالة في الطريقة النقشبندية ورسالة في معنى التصوُّف والصوفيّ وغير ذلك . ومن ادبياتهِ رسالة لهُ في الحضّ على برّ الوالدين . اما شعرهُ فهو رقيق اللفظ رشيق المعنى كثير التفنن فيهِ قسمٌ للموشَّحات والأدوار الغنائيَّة والخمريَّات وها نحن نورد منهُ طرفًا تنويهًا بفضلهِ . قال في الاعتصام والثقة بالله :

انا بالله اعتصـابي لا ارى في ذاك شكًّا مرتقًا ان لا سواه كاشفٌ ضرًّا وضنكا
راجيًا فيهِ نوالا ورشادًا ليس يُحكى لم ازل لله عبدًا وبهذا اتركَّى
ربِّ وفِّقني لرشدٍ ثم هبْ لي منك ملكا واحمني من كلّ سوء وقني شرًّا وشركا
واصرف الاعداء عني واهزمهم شتكًا وفتكا واقهر الذئب بلطف واكفكف الأكدار فكًّا
وأتاني كلّ فضلٍ من ضياء الشمس اذكى وأذقني يا الهي لذَّة القرب المزكّى

في رياض الأمن مما اخشى فملا وتركا ان ألطاف إلهي لي قالت خل عنكا
لا تدبر لك امرا نحن أولى بك منكا فاترك التدبير تنجو فأولو التدبير هلكى (١

وله مستغيثاً مبتهلاً من قصيدة :

الهي الهي ليس الاك يرغبني وحقك ما وافيت غيرك راجيا
ومن ذا الذي اشكو له سوء فاقتي ويعلم قبل المشتكى سوء حالها
لقد دكّ دهري طود قصري فأصبحت منازل قصري بالخطوب خرابا
وفرّق لي الخطب المبرّح اسهماً من الوجد والتبريح فيها رمانيا
وشنّ لي الغارات تترى وقد غدت علي بوادي الجور تعدو العواديا
فيا ربّ ما للعبد في الدهر ملتجى سواك فاني بالتضرع لاجيا
تدارك بألطاف وأسعفه بالمنى وحقق له فضلاً لديك الاماني

ومن جيد قوله ما كتبه في برّ الوالدين :

كم جرّ برّ الوالدين من فوائد للمرء جمّه
منها رضى الله الذي يكفي الفتى ما قد أهمّه
واخو العقوق كئيب قد صار في الأحياء رمّه
والكلب احسن حالة منه وأحفظ منه ذمّه

ومثله ما قال :

فاز بالدارين حاوي الحسنيين طاعة الله وبرّ الوالدين
فاغتنم برّهما واصبر له فهما في الدهر ليسا خالدين
طالما جادا بإحسانهما لك والاحسان عند الحرّ دين

وقال من قصيدة يمدح فيها سليمان باشا لمّا وُلّي دمشق :

هي دولة المولى سليمان الزما ن ومن حوى في عزّه تقديما
فكأنّ جلق اصبحت ذات العما د الى العباد وجنّة ونعيما
لاحت كواكب سعدها من دولة قد خيّمت بسعودها تخييما
بدرٌ بدولتها الليّة لاح من فلك السعود متمّماً تتميما
وله السعادة في منازل جلّق وله الامارة سُلّمت تسليما
ساس الورى بسياسة وفراسة وحماسة وغدا بذاك حكيما
الله اكبرُ جلّ ناصره الذي اعطاه عزّاً في الانام جسيما
بشراه سوف يرى مقاماً فوق ذا وينالُ سعداً في الوجود عظيما

وله تاريخ في جلوس السلطان محمود الثاني سنة ١٧٩٣

(١ مرجع هذا قولهم في المثل السائر : المرء في التفكير والله في التدبير

جلوس سلطانا المسمودُ طالعهُ عبدٌ كبيرٌ لهُ في الملك تأييدُ
أبشر وبشّر اذا ما أرّخوهُ وطبْ فالدهرُ اشرقَ والسلطان محمودُ

ومن محاسنهِ قولهُ في نوفرة على رأسها ليمونة :

ونوفرةٍ تبدي من الماء قامةً زهت بكمال الحسن حسناً ومنظرا
عمودٌ من البلّور من فوق رأسهِ زُمرّدةٌ خضراء تنثر جوهرا

ومن أوصافهِ قولهُ يذكر دير خطّة من قرى الشام بين النبك والقريتين :

هادي الرّكب سرّ وحثّ المطيّه لديار الحطا بدير العطيّه
فبتلك الربوع تلقى ربيع الـ ـأنس فاحت ازهارها البهريّه
جنّةٌ قد تزخرفت في رباها بثمارٍ من البهاء جنيّه
تجري من تحتها المياهُ بأنها ـر التهاني للواردين مريّه
وجواري المياه ترقصُ لمّا شبّ الريحُ يشجي منها الشجيّه
وغصون الرياض غنّتْ تبهًا حبّذا فتنة نائم سحريّه
حبّذا حبّذا معاني الاغاني لتهاني المعالم الانسيّه
وبها لليها لوامعُ نورٍ بضياء من الجمال جليّه

وقد اشتهر بين المسلمين غير هؤلاء في الشعر والادب لكنّ قصائدهم وتآليفهم لا تزال في خزائن الخاصّة او اخذتها ايدي الضياع نذكر منهم من اتصل بهِ علمنا بمطالعة مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة (ستأتي البقية)

خلود النفس

للاب لويس شرفواليو اليسوعي (تتمّة)

وربّ قائل يقول: وهبْ انّ اصوات الامم تتّفق في تعليم حقيقة خلود النفس أفلم يتّهم ايضاً بين الفلاسفة واصحاب العقول النيّرة رجال انكروا هذه القضيّة وما ادراكَ انهم لم يصدقوا في قولهم

نجيب انهُ ليس من حقيقة ايّاً كانت لم يتصدَّ لها بعض اهل السفسطة . ولكن هيهات ان يقوى قولهم على اقوال ذوي المدارك السامية والعقول الراجحة . نعم لا نجهل انّ افراداً من البشر وهم الملحدون والزنادقة حاولوا نقض حقيقة الخلود لكنّ اصواتهم ضاعت في يداء فلم يرنّ لها صدًى في القلوب السليمة والاذهان الزكيّة . وكثيراً ما